عمرو بن كلثوم من البلاغة الشعرية إلى الحكمة النثرية
" دراسة حول الآليات الحجاجية في وصيته لبنيه "

د. أحمد محمد أحمد الليثي (*)

المستخلص

يتناول هذا البحث عرضًا لتطبيق آليات نظرية الحجاج على نص من النصوص النثرية في العصر الجاهلي، وتعد نظرية الحجاج من أهم النظريات الحديثة في الدرس الأدبي والنقدي، وقد وقف الباحث على بعض آليات الحجاج التي وردت في ثنايا وصية جاهلية، ومن المفارقات أن هذه الوصية النثرية وصى بها شاعر من فحول الشعر الجاهلي(عمرو بن كلثوم) أبناءه؛ لذا كانت جديرة بالوقف عندها، ومحاولة الولوج داخلها من خلال الدرس الحجاجي؛ لبيان كيف استطاع الحجاج بآلياته المختلفة أن يكون له دور فعَّال في حبك خيوط هذه الوصية، وما أفاد في قطع الشك باليقين، وربط الحجج بالنتائج.

وقد قسمت البحث إلى ثلاثة مباحث بعد توطئة ومدخلٍ للموضوع: تناول المبحث الأول حديثًا حول نظرية الحجاج، والمبحث الثاني تناولت فيه الوصايا الجاهلية مع التركيز على وصية عمرو بن كلثوم، ثم المبحث الثالث تناولت فيه الآليات الحجاجية التي وردت في الوصية، ثم أتبعت ذلك بخاتمة اشتملت على نتائج البحث، ثم ثبتٍ بالمصادر والمراجع.

الكلمات المفتاحية: الحجاج– الوصايا– الروابط الحجاجية– السلم الحجاجي– العوامل الحجاجية.

(*) أستاذ مساعد بكلية دار العلوم – جامعة المنيا.

Abstract

This research examines argumentative perspective on prose texts in the pre-Islamic era. Modern research can reveal the most important theories in literary and critical studies. The research focused on some of argumentative writings, contained in the pre-Islamic will. Ironically, this prose will was documented by one of the most prominent pre-Islamic poets (Amr ibn Kulthum) and his sons. Therefore, it was useful to study it in detail and and attempt to study deeply through a study of arguments. This is to show how arguments through his various methods, was able to play an effective role in weaving the threads of this will, and what he proved in removing doubt with certainty, linking arguments to the results. The research is divided into three sections, after an introduction and a preface. The first section addresses the theory of Hajjaj. The second section addresses pre-Islamic wills, focusing on the will of Amr ibn Kulthum. The third section examines the argumentation contained in the will. This is followed by a conclusion containing the research findings, followed by a review of sources and references.

Keywords: argumentation, wills, argumentation, argumentation links, argumentation factors.

توطئة:

يعد الحجاج من بين النظريات الحديثة التي اهتم بها الباحثون في درسهم الأدبي الحديث، فقد وظفه كثير منهم في النص الأدبي التراثي والمعاصر، وأصبح له دورٌ مهمٌّ في الاتجاهات الأدبية والنقدية التي أثرت تلك الحركة في مجالي النقد والأدب للنصوص المتنوعة والمتعددة، ويعتمد الحجاج على تلك البراهين التي يحتاجها المتكلم أو الكاتب حتى يكون لمنطقه وجه من وجوه الإقناع، أو باب من أبواب التوكيد القولي.

لقد أصبح للحجاج دورٌ بارزٌ في التفاعل داخل النصوص عامة، والنص الأدبي خاصة، وأصبح لآلياته وتقنياته ومفرداته دورٌ مهمٌّ داخل تلك الأعمال وفي ثناياها، يعمد الكاتب إليه لدفع المراء والجدال باليقين والبرهان، ونفي أي شكٍ بالحجة والدليل، وفي النصوص الأدبية يعتمد عليه الكاتب والمبدع في سبك مراده بالحجة التي لا يدخلها الشك، ويعمل على الاتساق داخل عمق النصوص لترتسم من خلاله وتكتمل تلك اللوحة التي يريدها المبدع،

ويريد أن يقنع بها المتلقي، بل يتعدى ذلك عندما يجعل المتلقي يتفاعل بما يقول، ويتقبل إبداعه بيقين تام.

وقد ارتبط الحجاج كثيرًا– خاصة في الدراسات المعاصرة– بالشعر، فتنوعت تلك الدراسات التي تتناول أحد الشعراء أو مجموع شعري أو ظاهرة أدبية أو فن بعينه لتدرسها دراسة حجاجية، وتقف على الآليات التي يستخدمها الشعراء في ذلك، أما في مجال النثر فقليل تلك الدراسات الحجاجية التي تناولته بالدراسة والتحليل والعرض، فلا وجه للمقارنة بين ما درس في الشعر وبين ما درس في النثر باستعمال تلك النظرية الحجاجية، وإن كان النثر أحق بالدراسة والتناول في باب الحجاج؛ لأن فيه من تنوع أنماطه والموضوعات داخل تلك الأنماط ما يحتاج إليه الناثر المبدع في توظيف الحجاج لنسج أفكاره ورؤاه، وفي ثنايا كلامه ليعضده ويقويه.

المبحث الأول: حول نظرية الحجاج

تقوم نظرية الحجاج في أصولها على قرع الحجة بالحجة عن طريق المحاججة والمحاورة بين طرفين، ويأتي الحجاج نسقًا لغويًا يحاول المحاجج من خلاله أن يدحض رأي محاوره أو ربما خصمه بالأدلة والبراهين القاطعة التي تؤيد قوله، وتثبت حجته وحقه فيما أراد أن يثبته، فالغرض الرئيس من الحجاج" الإقناع والتأثير والتداول والتواصل والتخاطب؛ ومن ثم فالحجاج فعالية تداولية جدلية ديناميكية فعالة، تستلزم وجود أطراف تواصلية بينها قواسم حجاجية مشتركة"[١].

ولعل هذه المعاني هي التي أشار إليها صاحب اللسان عند ذكره للحجاج بقوله:"حاجَجْتُه أُحاجُّه حِجاجاً ومُحاجَّةً حَتَّى حَجَجْتُه أَي غَلَبْتُه بالحُجَجِ الَّتِي أَدْلَيْتُ بها... وهو رجل مُحَجِاجٌ أَي جَدِلٌ. والتَّحَاجُ التَّخَاصُمُ. وحاجَّه مُحاجَّةً وحِجاجًا: نازعَهُ الحُجَّة"[٢].

إن نظرية الحجاج تعد من بين النظريات التي تضرب بجذورها في عمق الفكر الفلسفي والمنطقي والنقدي الغربي والعربي، وبالرغم من تلك الكثرة من الدراسات الحجاجية في العصر الحديث، إلا أن مصطلح الحجاج قد وجد من قبل ذلك بفترة طويلة، وتناوله كثير من المفكرين والنقاد وقبلهم الفلاسفة بالعرض والدرس والتحليل، بوصفه مصطلحًا خاصًا بفنون متنوعة

ومتعددة من ناحية، وبآلياته وتقنياته من ناحية أخرى" فالحجاج مفهوم قديم حديث، قديم قدم الفلسفة والمنطق، تنسب بدايات البحث فيه إلى (أرسطو)، لكن لا شك في أنه كان للسفسطائيين دور هام في بلورته، فهم الذين – قبل المعلم الأول– تنبهوا إلى أن كل خطاب يقابله خطاب معاكس، وأشاروا إلى أهمية التفاعل اللغوي في العلاقات الاجتماعية"[٣].

ولو عدنا إلى الفكر الفلسفي والنقدي القديم لوجدنا بذور فكرة الحجاج واضحة جلية عند (أرسطو) فيما كتبه في كتابه عن" الخطابة، بوصف الحجاج مقومًا أساسيًّا من مقومات الخطبة يتمثل أساسًا في الظفر بالحجة"[٤]، فقد ربط الحجاج بفن الخطابة على أنه نمط أدبي حجاجي يحتاج المرء معه للحجاج في جعبته أثناء العملية الخطابية لمجموعة أدلة وبراهين متنوعة لإثبات قوله أو حجته وإقناع الآخر بها.

لقد اهتم (أرسطو) بالحجاج البلاغي في ظل ثورته ضد السوفسطائيين[٥] الذين اتخذوا من الحجاج الخطابي أداةً مباشرةً ونافذةً ضد طغاة صقلية في مشكلة نزاعاتهم الدموية حول ملكية أراضيهم المغتصبة منهم قهرًا، ومن ثم أصبح للخطابة دورها المهم في إرجاع الحق لأصحابه بالدليل والبرهان والحجة القوية[٦]، ثم جاء بعده أفلاطون ليرسخ رؤية مقاربة في النظرة للحجاج من رؤية فلسفية منطقية خالصة، تعدت هذه الرؤية لرؤى أخرى متنوعة بعد فترة وجيزة.

وقد ظهرت البدايات الأساسية لنظرية الحجاج عند (أرسطو) جلية في كتابيه (الريطوريقا/ البلاغة) و(الحجج المشتركة)، وتناول في الكتاب الأول في قسمه الأخير الحديث عن صفات الأسلوب وآثاره الفنية والجمالية والحجاجية، وهو يعد البلاغة خطابًا حجاجيًا لغويًا يقوم على وظيفتي التأثير والإقناع، ويتوجه إلى الجمهور السامع قصد توجيهه أو إقناعه إيجابًا أو سلبًا[٧]. وهو في كل حديثه عن الحجاج يربطه دائمًا بالجدل وبالخطابة من وجهات متنوعة وكثيرة، ويذكر أن" الخطابة تعتمد الحجاج شأنها في ذلك شأن الجدل، مع اختلافٍ كامنٍ في بنية الحجاج في كليهما"[٨].

جاء بعد ذلك (شاييم بيرلمان) و(لوسي أولبريخت تيتيكا) ووضعا مصنف (الوجيز في الحجاج: البلاغة الجديدة) ليخرجا بالحجاج من ارتباطه بالخطابة والجدل؛ ليصبح مفهوم الحجاج

عندهما" معقولية وحرية، وهو حوار من أجل حصول الوفاق بين الأطراف المتحاورة، ومن أجل حصول التسليم برأي الآخر بعيدًا عن الاعتباطية واللامعقول اللذين يطبعان الخطابة عادة وبعيدًا عن الإلزام والاضطرار اللذين يطبعان الجدل"[٩].

ويوضح بيرلمان أن للحجاج غاية بعينها يحاول الوصول إليها، ولا يتعداها، ألا وهي الوصول بالمتلقي للاقتناع بما يقول، ويحاول بكل وسائله أن يخرج بهذه الغاية التي يبني عليها حجاجه وجدله ومحاورته، فغاية الحجاج عنده" إنما هي الفعل في المتلقي على نحو ما يدفعه إلى العمل أو يهيأ للقيام بالعمل"[١٠].

ثم يأتي كل من (ازوالد ديكرو) و(اسكومبر) ليرتبط الحجاج عندهما ارتباطًا وثيقًا باللغة؛ فهي مدار الحديث عن الحجاج، وهي الأساس الذي تبنى منه أو عليه أي حجة يريدها المحاجج، ويحاول أن يستخدم اللغة نسقًا خاصًا ليبين بالبراهين والأدلة مقصده ومراده وانتصاره لما أراد، فاللغة لها من التراكيب والمفردات الخاصة والأساليب المتنوعة ما يجعل منها أداة قوية، ووسيلة طيعة لدى المحاجج للوصول إلى غايته الأصلية وهي الانتصار لرأيه وإقناع خصمه أو من يحاور.

ومن خلال (ديكرو) و(اسكومبر) بدأ الحديث بقوة وفاعلية عن نظرية الحجاج اللغوي، تلك النظرية التي" تندرج ضمن النظريات الدلالية الحديثة التي تقدم تصورات جديدة حول المعنى، وتقترح مقترحات جادة حول كثير من القضايا والظواهر اللغوية"[١١]. واللغة بما تحمله من بكارة في ذاتها، وخصوصية في صفاتها، وترتيب بعينه في تراكيبها تكون الأساس القويم الذي يعتمد عليه المحاجج في حواريته وجداله؛" فاللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية، أي أن هذه الوظيفة مؤشر لها في بنية الأقوال نفسها"[١٢].

من هنا أصبح للغة مجالًا خصبًا للحجاج، وأصبح للدرس اللغوي اللساني اليد الطولى للولوج إلى النصوص ودلالاتها المتنوعة، فاللغة بالنسبة لهما" تحمل في طياتها بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية تتجلى في بنية الأقوال ذاتها، صوتيا وصرفيا وتركيبيا ودلاليا"[١٣].

ويعمد الحجاج اللغوي إلى الوصول إلى تلك الغاية المهمة للحجاج في صورته المثلى الكلية، وهي" وضع نمط في علم الدلالة جديد، وهذه الدلالة دلالة قصدية أساسًا، لكن الأمر يتعلق بمفهوم قصد لغوي لا نفساني"[١٤]؛ لذلك فإن هذا النوع والنمط من أنواع الحجاج" يجعل الأقوال تتتابع وتترابط على نحو دقيق، فتكون بعضها حججًا تدعم وتثبت بعضها الآخر؛ أي أن المتكلم إنما يجعل قولاً ما حجة لقول آخر هو بلغة الحجاج نتيجة يروم إقناع المتلقي بها، وذلك على نحو صريح واضح أو بشكل ضمني"[١٥].

ولعل إصدار (ديكرو) لكتابه (الحجاج داخل اللغة) ١٩٧٣م أبان عن كثير من خيوط الحجاج اللغوي ومفرداته المتنوعة، وأكد (ديكرو) على أهمية اللغة وما بها من تراكيب وجمل خاصة تحمل بين طياتها دلالات متنوعة، تتفاعل فيما بينها وتتكامل وتتراتب من أجل الوصول إلى القيمة الحجاجية في صورتها النهائية[١٦].

المبحث الثاني: الوصايا في النثر الجاهلي

تعد الوصايا فنًّا من الفنون الأدبية النثرية التي حظيت بوجودٍ أصيلٍ بين فنون النثر الأخرى عبر العصور الأدبية جميعها، ابتداءً بالعصر الجاهلي حتى العصر الحديث، وهي فن يقوم على إرساء قيم بعينها ومحاولة التذكير بمبادئ أخلاقية ودينية، وربما دنيوية وحياتية متنوعة، وأحيانًا تأتي لتقويم معوج ما، أو النصح والإرشاد لأمور يريدها الموصي لمن يوصي لهم؛ محبة منه لهم؛ أو شفقة عليهم؛ أو خوفًا وقلقًا من مكروه قد يصيبهم.

وقد وردت مفردة الوصية بتعريفات عدة في المعاجم اللغوية، وهي في كثير من تلك التعريفات إنما مدارها حول العهد والوصل والاقتران بوعظ بعينه أو نصح أو إرشاد، فيذكر ابن فارس في مقاييس اللغة تعريف الوصية مؤكدًا على معنى الاتصال والوصل للوصية، حيث يقول:" وصى: الواوُ والصادُ والحرفُ المعتل: أصلٌ يدلُّ على وصلِ شيءٍ بشيءٍ، ووصيتُ الشيءَ وصلتَهُ، ويقال: وطئنَا أرضًا واصيةً: أي نبتُها متصلٌ، وقد امتلأتْ منه، وَوَصَيْتُ الليلةَ باليومِ، وَصَلْتُهَا، وذلكَ في عملٍ تعملُهُ، والوصيةُ من هذا القياسِ كأنَّهُ كلامٌ يُوْصَلُ"[١٧].

ويعرفه الجوهري في الصحاح فيذكر" وصيَ: أَوْصَيْتُ له بِشَيءٍ وأَوْصَيْتُ إليه، إذا جعلتُهُ وَصِيَّكَ، والاسمُ الوِصَايَةُ، والوَصَايَةُ بالكسرِ والفتحِ. وأوصيْتُهُ وَوَصَيْتُهُ أيضا توصيةً، والاسمُ الوَصَاةُ، وتواصى القومُ، أي أوصىَ بعضُهم بعضًا... وأرضٌ واصيةٌ: متصلةُ النباتِ. وقد وَصَت الأرضُ، إذا اتصلَ نبتُها، وربما قالوا: تَواصَى النبتُ، إذا اتصَلَ. وهو نبتٌ واصٍ"[١٨]. فما ذكره ينطوي على معن الاتصال والوصل، وإن ذكر وصية بعض القوم لبعضهم من باب النصح والإرشاد.

وأما ابن منظور يذكر في لسان العرب" أوصَى الرجلُ وَوَصَّاهُ: عَهِدَ إليه"[١٩]. فقد وقَفَها على العَهدِ من شخص لآخر.

من ذلك نجد أن مفهوم الوصية مرتبط ارتباطًا قويًا" بالوصل والاتصال، ويتضمن هذا الاتصال المعنيين: المادي والمعنوي، وهو على آية حال محاولة للاستمرار، فهو ضد الانقطاع"[٢٠].

وتعبر الوصية أيضًا عن" التقدم إلى الغير بما يعمل به مقترنًا بوعظ"[٢١]، وهدفها التقويم والدفع للصحيح بعيدًا عن الخطأ والزلل والشطط.

وقد ورد في القرآن الكريم لفظ الوصية بمشتقاتها المتعددة في أكثر من آية من آيات الذكر الحكيم[٢٢]، وأغلبها جاء بمعنى العهد وحفظ الأمانة والنصح والثبوت على العبادة والطاعة والطريق المستقيم والابتعاد عن المعوج الفاسد من الفعل والقول، ومن ذلك:

- ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٣٢) ﴾ (البقرة، آية ١٣٢)
- ((يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ۚ)) (النساء، آية ١١)
- ﴿ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ (١٢)﴾ (النساء، آية ١٢)
- ﴿ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) ﴾ (مريم، آية ٣١)

- ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤) ﴾ (لقمان، آية ١٤).

وقد تعددت كذلك تلك التعريفات الاصطلاحية للوصية، ووقف عند مفهومها كثير من النقاد والباحثين في مجالات شتى، وجمع لها من المعاني الاصطلاحية والتعريفات الخاصة ما يعطينا صورة واضحة جلية لهذه المفردة ذات الدلالات المتعددة، فالوصية" فن من فنون النثر الأدبي، تكشف عن عقلية المجتمع وعن أفكاره واهتماماته ومثله وآماله، وتكشف أيضًا عن كثير من ظروف المجتمع السياسية والاجتماعية والدينية"[٢٣]، فهي خارجة من رحم ذلك المجتمع الذي تكون فيه، غير منفصلة ولا منقطعة عن أحداثه وأموره المتتابعة والمتنوعة، وهي في صورتها الأساسية تعبر عمّا يضعه الموصي مما لديه من تجارب وخبرات متعددة لدى ما يوصي إليه، فهي رسالة موجهة" إلى إنسان أثير لديك من ثمرة تجربة وحكمة وإرشاد وتوجيه، وكذلك النصيحة، فمعناهما متقاربان أو متحدان"[٢٤].

وتعد بمثابة محصلة الوداع من الموصي لمن يوصي إليهم، يجمع فيه كل ما مر به في حياته من" تجارب عميقة، وعصارة أفكار دقيقة من أناس خبروا الحياة، ووقفوا على أساليب الناس ومعارفهم وميولهم وأهوائهم، ذاقوا حلو الحياة ومرها.."[٢٥].

وربما اقتربت الوصية في مفهومها ومضمونها من الخطابة، وثمة فوارق بعينها تضع بينهما اختلافًا يجعل لكل منهما خصائص بعينها تنفرد به عن الأخرى؛" فالوصية لون من ألوان الخطابة قاصرة على الأهل والأقارب والأصدقاء، والفرق بينهما أن الوصية تكون من الرجل لقومه أو أبنائه، ومن الأم لابنتها، والخطابة تكون في المشاهد والمجامع والحروب والمعارك وفي المفاخرة والمحاورة والمنافرة وفي الوفادة على ملك أو أمير وفي المواسم والاجتماعيات العامة"[٢٦].

وتكاد تقتصر الوصية في كثير منها على الأقارب والأهل والأصدقاء، وبالرغم من ذلك فإن الموصِي لا يقتصر على أحدٍ بعينه، ولكن يجوز لأي أحد أن يوصي، ولكن بشرط توفر الخبرة أو التجربة أو ممن عركتهم الحياة كثيرًا وعركها حتى صار عنده مخزون من تجاربها يستطيع من خلاله

أن ينصح ويرشد ويقوم غيره من الناس،" وغالبًا ما يكون قريبًا أو صديقًا، وذلك حين السفر أو الزواج أو الموت أو ما شابه ذلك، ولا تقتصر الوصية على أشخاص دون غيرهم؛ فالوصية جائزة لكل إنسان..."[٢٧].

وتتسم الوصية في معظمها بالنصح والإرشاد والحث على فعل الصواب والصحيح، وتتسم كذلك بميل صاحبها إلى الحكمة من خلال تجاربه الشخصية، ولذا فهي تعد ضربًا من القول النثري" يقترب من الحكمة في منحاه، يتوجه به الرئيس أو القائد لقومه ساعة يرى ضرورة لذلك، أو الأب لأولاده عندما يحس أنه مفارقهم، ثم لم تلبث هذه الوصية أن تكون لهم دستورًا يهتدون بهديه، وقد بلغ من مقدار تمسكهم بحرفية الوصية ما عرضهم للهلاك دون النكوث بها أو النكوص عنها"[٢٨].

من خلال ذلك نرى أن أغلب الوصايا تأتي عبر تجارب متنوعة في الحياة لسيد في قومه، أو من حكيم يحترمه الناس ويقدرونه، أو من أب لأبنائه، أو مفارق لجماعة عاش بينهم أو مر عليهم، وربما هذا ما صبغ أغلب الوصايا بالصدق العاطفي والشعوري، ومن ثم الصدق الفني في معظمها؛ لقرب الموصي من الموصى لهم؛ فالوصية" ترد إما على لسان أب لأبنائه، أو أم لأبنائها، أو حكيم لأبناء قبيلته أو عشيرته، أو خليفة ينصح فيها أبناءه من بعده؛ فهي لا تقال إلا لذوي القرابة الحميمة، لذا فإنك تحس فيها صدق اللهجة وحار الشعور..."[٢٩].

وقد ميز أسامة ابن منقذ بين نوعين من الوصايا فذكر أن" الوصية وصيتان: وصية الأحياء للأحياء، وهي أدب وأمر بمعروف ونهي عن منكر، وتحذير من زلل، وتبصرة بصالح عمل. ووصية الأموات للأحياء عند الموت بحق يجب عليه أداؤه، ودين يجب عليه قضاؤه"[٣٠].

ولعل أسبابًا بعينها تدفع الموصي إلقاء وصيته، وأهمها إحساسه بالمغادرة والفراق، وربما لقرب الموت أو السفر أو لإبعاد أو غير ذلك من الأسباب المشابهة للفراق، أو لقضايا مجتمعية تظهر في البلاد فتدفع ذلك الموصي بتوصية أبناء جلدته أو من يهتم بهم بالتبصرة بأمر هذه القضايا، أو بث الوصايا التي تساعدهم على أمور دنياهم، وربما أراد إصلاحًا لأهله أو قومه أو أبناء له، وربما دفعت الأحداث السياسية في مكان ما أو في قوم بعينهم لأن يقوم بعض أهل

السياسة أو الحكم والسلطة بإلقاء وصاياهم تحفيزًا لأبناء قبيلتهم أو نصحًا لهم لأخذ الحذر، وربما كانت وصايا غرضها غرض ديني بالتزام الصلاح والبعد عمَّا هو فاسد وطالح، والتقرب من الإله والالتزام بتعاليم الدين والمعتقد.

أما الآباء فكان لهم الحظ الأوفر والمهم من الوصايا فيما أفردوه أو خصوا به بنيهم، وكثير من تلك الوصايا نجدها تقال على لسان أب لأبنائه، وقد حفظ لنا التراث النثري مجموعة كبيرة من هذه الوصايا الخاصة بالآباء لأبنائهم، فكانت تلك الوصية عبارة عن" خلاصة حياة الفرد وآخر ما يقدم إلى أبنائه أو أبناء مجتمعه في حياته أو نهايتها، بعد أن اختبر الحياة بكل ما فيها من حلو ومر"[٣١].

وأما في العصر الجاهلي– على وجه التحديد– نجد حضورًا بارزًا لهذا الفن؛" فالوصايا كثيرة في النثر الجاهلي، وتمتاز بجمالها وتناسب جملها وأساليبها وما يشيع فيها من حكمة وصدق تعبير ونفاذ فكر، وثقوب نظر"[٣٢].

وقد ذاعت تلك الوصايا في ذلك العصر كثيرًا، ووصل إلينا مجموعة من الوصايا تعبر عن كثير من القيم والمبادئ التي كانت منتشرة وموجودة فيه بقوة، برغم ما كان فيه من رذائل وصفات مستهجنة وخروج عن التقاليد والقيم والمبادئ الأخلاقية العامة للناس جميعًا، ولعل السبب في ذيوع ذلك الفن النثري بقوة في العصر الجاهلي في مفارقة مع بعض صفاته أخلاق الأشخاص فيه أنه" من رحم المعاناة في تلك الفيافي الواسعة ولدت هذه القيم الإنسانية، وهذا الخلق النبيل ليكون مظهرًا من مظاهر التعاون على ظروف الحياة القاسية"[٣٣].

وربما حاول بعض الجاهليين النأي بأنفسهم وذويهم عمَّا يسيطر على بيئتهم الجاهلية من ملوثات أخلاقية ومشوبات للقيم والمبادئ الإنسانية، فعمدوا إلى بث هذه الوصايا إلى أحبتهم بأسلوب جزل قيم له من الفصاحة والبيان رصيد كبير" فقد كانوا يعتنون بتنميق أسلوبهم في الوصايا حتى يكون لهم واقع جميل، فيكون هذا عاملاً مساعدًا على الإصغاء إلى الوصية ثم التأثر بها"[٣٤].

وكانت لثقافة الجاهليين الخاصة ما جعلهم يعجلون بوصاياهم في مواضع بعينها، وقد وجد من أهل الجاهلية وحكمائها من كان أهلاً لهذا النوع من النثر الجاهلي، وأكثر من قاموا بذلك الآباء إلى أبنائهم، أو السادة إلى أقوامهم، بل والأمهات كذلك إلى بناتهن، ومن بين هؤلاء: عمرو بن الغوث في وصيته لولده، وذي الإصبع العدواني لولده، ومالك بن المنذر لأبنائه، وأكثم بن صيفي لقبيلته طيء، وأمامة بنت الحارث لابنتها، وعمرو بن كلثوم لبنيه.

من ثم جاء اختياري لموضوع هذا البحث (وصية عمرو بن كلثوم لبنيه– مقاربة حجاجية) حول وصية مهمة من بين تلك الوصايا التي كتبت في هذا الفن، ليس في العصر الجاهلي فقط؛ وإنما على مر العصور كلها، ولعل سببًا مهمًّا يجعل لهذه الوصية أهمية خاصة دون سواها، هو أن قائلها ليس ناثرًا أو كاتبًا ممن عرفوا بكتاباتهم النثرية في الأنماط المتعددة للنثر؛ وإنما أحد هؤلاء الشعراء الكبار في ذلك العصر، وواحد من أصحاب المعلقات الشعرية التي تعد بابًا لديوان الشعر العربي الأول، وتمتاز تجربتهم في تلك المعلقات بثرائها الفني دون سواها من نظم شعري آخر.

فهل أجاد عمرو بن كلثوم في وصيته النثرية كما أجاد شاعرًا في معلقته الشعرية؟

هذا ما يحاول الباحث الولوج إليه من خلال الوقوف على هذه الوصية التي كتبها شاعر من فحول الشعر العربي– رغم قلة إنتاجه الشعري– مستعينًا بالحجاج اتجاهًا نقديًا لتحليل هذه الوصية، وقد اتخذ عمرو بن كلثوم – دون قصد منه– هذا الاتجاه الإقناعي أسلوب كتابة حجاجية، وعرض وصيته الحكيمة بصورة بلاغية ولغوية مميزة، متخذًا من آليات الحجاج وسيلة للوصل إلى غايته التي يريدها من هذه الوصية.

بين يدي الوصية والموصي:

يذكر من ترجموا لعمرو بن كلثوم نسبه بأنه" عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب بن سعد بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان، وأم عمرو بن كلثوم

ليلى بنت مهلهل أخي كليب"[٣٥]. كان من قبيلة تغلب، وهي إحدى القبائل العربية التي كان لها عزة ومكانة ومنعة، ويدًا فوق الجميع في الجاهلية.

وقد ذكر كل من ترجم لعمرو بن كلثوم أنه عَمَّرَ طويلاً وأنه ساد قومه صغيرًا، فيذكر الأصفهاني أنه" ساد وهو ابن خمسة عشر عامًا، ومات وله مائة وخمسون سنة"[٣٦]. وأما عن ولادته فلا يعلم تحديدًا تاريخ الولادة، وإن ذكر محقق ديوانه[٣٧] أنه ربما كانت ولادته عام٥٢٥م، وأنه عاصر عمرو بن هند (٥٥٤م– ٥٧٠م)، وأنه أدرك النعمان بن المنذر (٥٨٠– ٦٠٢م) وهجاه، وأغلب من ترجم له ذكر في وفاته أنه توفي ٤٠ ق هـ = ٥٨٤م. وذكروا في وفاته روايات متنوعة منها أنه مات من كثرة شرب الخمر أثناء أسره، وأنه أحد ثلاثة ماتوا بها في الجاهلية[٣٨].

يعد عمرو بن كلثوم أحد الشعراء أصحاب المعلقات الذين شهد له بالمكانة الشعرية المتفردة، والجزالة اللغوية، والصورة الطريفة، وإن لم يشتهر له من مجموع شعره القليل سوى معلقته الشهيرة.، ولكنها كانت جديرة أن تضع له تلك المنزلة المرموقة بين شعراء الجاهليين، وأن تتفرد تلك المعلقة بما لم تتفرد به غيرها من المعلقات.

وعرف عمرو بن كلثوم بين العرب بشاعريته وشجاعته وحكمته وخطابته– التي لم يصل إلينا منها شيء–، وقد ذكر ذلك المرزباني في ترجمته للشاعر بقوله" وكان خطيبًا حكيمًا، وأوصى بنيه عند موته بوصية بليغة..."[٣٩]. وإن لم تصل لنا إلا وصية وحيدة أوصى بها بنيه عند موته بعد أن بلغ من العمر مائة وخمسين عامًا، وهي محل هذه البحث.

لقد هيأت له عدة عوامل أن يكون حكيمًا في قومه، مسموعة كلمته، أحد فحول الشعراء في الجاهلية، صاحب وصية ذاع صيتها، برغم أنها الوصية الوحيدة التي وردت له، ولابد لهذا كله من مقومات وعوامل تضافرت في ذلك، ولعل منها[٤٠]:

– أصله وحسبه المعروفين بين العرب جميعًا من جهة أبيه وأمه، مما مكن له بين قومه منزلة قوية، وشأنًا عظيمًا، مهاب من الجميع، موقر من أبناء قبيلته، معروف ومعلوم بين قبائل العرب، بالإضافة أنه من قبيلة تغلب وما لها من مكانة عظيمة بين العرب.

- سيادته لقومه صغيرًا، مما مكن له من العزة والمكانة منذ صغره، وجعل له صدى عظيمًا بين نظراء بني تغلب في العرب، عرف ذلك له كل أبناء قبيلته تغلب فرفعوه بينهم وحكموه صغيرا وسادهم وهو حدث مازال.
- كان معجبًا بذاته إعجابًا شديدًا، هيأ له ذلك بلاغة منطقه، وبيان قوله فكان خطيبًا حكيمًا، وشاعرًا مجيدًا، ونسبه ومنزلة آبائه وأجداده، وكذلك فروسيته وشجاعته حتى عد من الفتاك الشجعان، وضرب به المثل فقيل: أفتك من عمرو بن كلثوم، ولعل ذلك بعد حادثة قتله للملك عمرو بن هند ملك الحيرة في القصة المشهورة بينهما.
- عاش مائة وخمسين عامًا، مما وفر له تجارب حياتية واجتماعية وسياسية مرَّ بها، فعمل ذلك على توفر مخزون من الحكمة والفطنة والشجاعة والقوة كان له صدى عظيما في شعره ووصيته.
- ديانته النصرانية[٤١] جعلت عنده مسحة دينية خاصة، وميلاً إلى مكارم الأخلاق والدعوة إليها، والبعد عن سفاسف الأمور وأسافلها، فكان من علية القوم نسبًا وخلقًا وديانة.

أما وصية عمرو بن كلثوم التي نقف عليها في هذه الدراسة، فالغريب أنه برغم ما فيها من وصايا مهمة عامة، فضلاً عن كونها خاصة بأبناء عمرو بن كلثوم، إلا أننا نجد من تناولها أو وقف عليها بالتناول أو التحليل ندرة لا تذكر من الباحثين أو النقاد، فاكتفى بعضهم بالإشارة إليها في ثنايا الترجمة لصاحبها الشاعر عمرو بن كلثوم، أو عند الحديث عن باب الوصايا في العصر الجاهلي، بل ربما لم يذكرها بعضهم في سياق الوصايا الجاهلية نهائيًا، والسبب في ذلك ربما يعود لغلبة شهرة عمرو بن كلثوم شاعرًا عن عمرو بن كلثوم ناثرًا، أو لغلبة كتاب النثر الجاهليين المعروفين على عمرو بن كلثوم في هذا الفن وذيوع صيتهم عنه، أو ربما للشك في نسبتها إليه عند بعض من وقف على الوصية ووصل إليها.

ولعل الدراسة الوحيدة التي أفردت لهذه الوصية دراسة الدكتور/ مُحَمَّد حسين محمود[٤٢]، وقد قام بتحليل الوصية في ضوء علم اللغة النفسي، وقد تناولها من خلال الوقوف على الفونيمات الصرفية والصوتية وفوق التركيبية لكل جزء من أجزاء الوصية وقد قسمها إلى مباحث يتناول

كل مبحث فقرة من فقرات الوصية، وربط كل ذلك بالدلالات النفسية وعلاقتها بعلم اللغة النفسي.

تناول كذلك هذه الوصية بالتحليل الدكتور هاشم صالح مناع في كتابه (النثر في العصر الجاهلي)[٤٣]، وهو تناول موضوعي لمحتويات الوصية وشرح أفكارها ومعانيها، وتناول في إيجاز شديد العاطفة والخيال وبعض الأساليب اللغوية والتركيبية فيها.

أما دون تلك الدراسة فلا نقف إلا على ثمة تحليل وشرح عابر لها ، أو على ذكر بعض أجزائها دون استحضارها كلها، أو الإشارة إليها وذكرها دون تحليل يذكر.

المبحث الثالث: الآليات الحجاجية في الوصية

أولاً: مقدمات حجاجية واقعية ونتائج منطقية:

يعد الواقع الأرض الصلبة التي تبنى عليها ومنها المقدمات لأي أمر جدلي؛ فهو بمثابة الحجج الثابتة التي لا مراء فيها، وتدحض أي شك معها، وتُبنى على هذا الواقع حقائق متعددة، ربما احتاج إليها المحاجج لإثبات حجته، أو إقناع الآخر بمراده، فلا يكون هناك أكثر معطى من واقع يعلمه الجميع، راسخ وثابت في الأذهان وأمام العيون، ومن خلال تجارب الناس الحياتية التي يمرون بها كل يوم.

إن مثل هذه المقدمات الواقعية من معطيات مختلفة تعد بمثابة الدعائم والركائز الأساسية التي تقوم عليها الحجة، وتنبثق من خلالها إشارات وعلامات الوصول لهدف المحاجج أو المتكلم، وهذه الوقائع تنقسم إلى نوعين:" وقائع مشاهدة معاينة من ناحية، ووقائع مفترضة من ناحية أخرى"[٤٤]ومعها لا يجد المتلقي بدًّا من التسليم والإذعان لها، والتصديق بماهياتها ومفرداتها الواقعية، لتثبت لديه النتيجة والمسلمة التي ربما شك فيها أول الأمر، أو ربما كانت لديه حيرة في قبولها أو الاعتراف بها.

وفي وصية عمرو بن كلثوم لبنيه نجد مثل هذه المقدمات والمعطيات كثيرة ومتعددة، ولما لا! وهو رجل التجارب الحكيم الذي ساد قومه صغيرًا وكان له تميز بين أقرانه ونظرائه وتفرد

بالحكمة والقول، فيأخذ من حياته التي عمر بها طويلاً مجالاً لبث حكمه ووصاياه لأبنائه، من خلال ما عاين وما رأى، ومن خلال الواقع الذي يراه أبناؤه أمام أعينهم ويحيون ويعيشون فيه.

ومثل حالته تلك فإن المحاجِج ربما لا يحتاج إلى ثمة ردٍّ من المتلقي أو المُحَاجَج؛ لأنها وصايا لا جدال فيها ولا مراء، وليس هناك ثمة مجال للشك فيها، فهي مؤسسة على واقع ثابت، فيما هو معروف لدى الباحثين في الحجاج بالحجج المؤسسة على الواقع أو شبه المؤسسة على الواقع، أو ربما أطلقوا عليها الحجج المنطقية أو الاستدلالية، أو الحجج الموجهة توجيهًا قصديًا، التي تعادل حجاجية القول الطبيعي[٤٥].

ومن أمثلة هذه المقدمات الواقعية التي تصل بنا إلى نتائج حجاجية واضحة جلية:

"يا بني إني بلغت من العمر ما لم يبلغ أحد من آبائي وأجدادي، ولا بد من أمر مقتبل، وأن ينزل بي ما نزل بالآباء والأجداد، والأمهات والأولاد"[٤٦].

بلغت من العمر ما لم يبلغ أحد (ق ح)*

لابد من أمر مقتبل (ق ح)

ينزل بي ما نزل بالآباء والأجداد والأمهات والأولاد (الموت) (ن م)

تتمثل الحقيقة الحياتية الأساسية في أن صاحب التجربة قد بلغ من العمر ما لم يبلغه أيّ من أسلافه، فالمقدمة الواقعية الحياتية هنا (بلغت من العمر ما لم يبلغه أحد من آبائي وأجدادي) ماثلة أمام أبنائه، بعدما عاش والدهم خمسًا ومائة سنة حتى وصيته تلك[٤٧]، وعليه، فإن ما يطرحه من وصية لا يحتاج إلى دعم ببيّنة خارجية أو دليل إضافي؛ إذ إن التجربة الممتدة ذاتها تعد كافية في سياقها، وتشكل بحدّ ذاتها مرجعًا موثوقًا، ومن ثم، فإن إدراك هذه الحقيقة يُفضي بالضرورة إلى التسليم بها دون موضع للشك أو مجال للجدال.

ثم تأتي النتيجة المنطقية الحتمية بعد ذلك وهي (الموت)، التي يعبر عنها بقوله في مقدمة منطقية أخرى (لابد من أمر مقتبل) ثم يفسر هذا الأمر بقوله (ينزل بي ما نزل بالآباء والأجداد والأمهات والأولاد) كناية عن (الموت)، فهي حقيقة واقعة، ربما ليس لمن في سنه فقط؛ وإنما الموت يحل بالجميع، لكن إذا بلغ الشيخ من العمر مبلغه، فهذا نذير واضح لقرب الموت، خاصة بعد وهن العظم وضعف الجسم، فهذا أمر حادث لا محالة لمثل من على هذه الحال، ومن بلغ من العمر أرذله.

فالموصي هنا قد بدأ من مقدمة واقعية، وحقيقة ماثلة إلى نتيجة منطقية، واضحة بينة، لا جدال فيها، وكأنما أراد أن يذكر أبناءه بأنه لا مجال لأن ينكروا ذلك؛ فقد سبقه إلى هذه الحقيقة الآباء والأجداد، والأمهات والأولاد، إشارة منه وتأكيدًا على أنه أمر لا عجب فيه، فهو مسبوق إليه، حادث لغيره، يأتي للكل (آباء، أجداد، أمهات، أولاد) أي الكبير والصغير، الرجال والنساء، فهو قد أتي بالحجة الدامغة، قدم لها بمعطيات واقعية حياتية، ثم أردف ذلك بالنتيجة المنطقية.

ثم تأتي النتيجة الأخرى التي أرادها عمرو بن كلثوم بعد كل هذا العمر، وقرب الأجل، إنها النتيجة التي من أجلها جمَّع هؤلاء الأبناء، وهي (وصيته):

"فاحفظوا عني ما أوصيكم به"[٤٨].

وكأن كل ما قدم من مقدمات حجاجية واقعية ومعطيات حياتية عن عمره الطويل، وعن أجله المحتوم، مثله مثل غيره، يستدعي معها أن يلقي إليهم بهذه الوصية، وكأنما يريد معها أن يلخص كل هذا العمر فيما سيقوله لهم، وفيما سيثبته في وصيته.

تأتي مجموعة أخرى من المقدمات الحجاجية السريعة، التي تتسق ونمط الوصية السريع، الذي يحتاج فيها لقصر العبارات وإيجاز الكلام مع تكثيف المعنى، ربما لكبر السن مع حكمة بليغة، ولغة جزلة، وتجارب متنوعة، فيريد أن يبث الموصي من يوصي أغلب ما عرف وعاين، وعاش وجرب، لذلك نجد عمرو بن كلثوم يعطي مجموعة متلاحقة من الحجج تأتي تباعًا واحدة تلو الأخرى، كلها تبدأ بحجة أو أكثر لتصل لنتيجة سريعة ومن ذلك[٤٩]:

ما عيرت رجلا قط أمرًا _____ إلا عيرت بمثله

من سَبَّ _____ سُبَّ

كفوا عن الشتم_____ أسلم لأعراضكم

صلوا أرحامكم_____ تعمر داركم

أبعدوا بيوت النساء من بيوت الرجال _____ أغض للبصر وأعف للذكر

متى كانت المعاينة_____ ذلك داء من الأدواء

من انتهك حرمة غيره_____ انتهكت حرمته

إذا حُدِّثتم _____ عوا

إذا حَدَّثتم _____ أوجزوا

مع الإكثار_____ يكون الإهذار

إني لم أمت_____ لكن هرمت

دخلتني ذلة_____ سكت

ضعف قلبي _____ أهترت

إن مجموع هذه الوصايا السريعة– التي ربما جاز أن نسميها الوصية الومضة لو كانت مفردة لحالها بعيدًا عن الإطار العام للوصية الأم– دليل بين على سبيل يتخذه عمرو بن كلثوم في وصيته، إنها مقدمات حجاجية واقعية تؤدي إلى نتائج منطقية واضحة، يبدأ في معظمها بإثبات الوصية الجزئية كنتيجة ثم يردفها بالحجة التي تقويها وتثبت صدقها، فلسفة خاصة منه، فلا يدع للمتلقي والموصى أي فرضية للتكذيب، متخذًا من التجارب الخاصة به مجالاً لصدق ما يقول، فقد عاين معظم هذه الوصايا بنفسه، وحدثت معه شخصيًا، فيذكرها بما يقويها ويثبت صحتها والتسليم بها.

لقد جعل في أكثر من وصية فرعية دورًا مهمًا لفعل الأمر، ومعه أسلوب الشرط المبني على الفعل والجواب؛ تعاونًا مع الأمر الملزم للفعل الذي يقوي الصدق الفني للوصية، وقرب أبنائه منه، حتى يأمرهم بتفعيل تلك الوصية، لا يخيرهم ولا يستشيرهم؛ بل يعطيهم خلاصة كل ذلك،

من خلال الحجة والدليل والبرهان، والاستدلال العقلي، وكأنه أمام عملية عصف ذهني لأبنائه، يستفز فيهم الفهم والتفسير والتركيز لما يقول، ويبثهم خلاصة عملية وتجربة معاشة.

وهنا نقرأ ترتيبًا حجاجيًا منطقيًا آخر في وصية عمرو بن كلثوم، أراد به نهاية منطقية أخرى لوصيته، وحجة قوية لقول وصيته لبنيه، فهو مازال حيًا، لم يمت بعد، ولم يترك وصيته مكتوبة أو منقولة عنه؛ لكنه بثها إليهم مباشرة، والسبب في ذلك علل كثيرة: الهرم والكبر، الذلة المؤدية للسكوت، ربما من ضعف وخور القوى، الذي عبر عنه أيضًا بحجة أخرى بضعف قلبه الذي أدى إلى هذيانه، ونرى تمثيل ذلك في الترتيب الآتي:

إني لم أمت (حي مازال)

↓

لكني هرمت

دخلتني ذلة فسكت

ضعف قلبي فأهترت

ثانياً: **السلم الحجاجي**:

يعد السلم الحجاجي مجموعة متسلسلة من الحجج التي تبدو معطيات لنتيجة يريدها المبدع، في ترتيب منطقي متسلسل، أو كما عرفه أبو العزاوي بقوله" السلم الحجاجي علاقة ترتيبية للحجج"[٥٠].

ويعرف السلم الحجاجي بأنه عبارة عن[٥١]" مجموعة غير فارغة من الأقوال مزودة بعلامة ترتيبية وموفية.... وللسلم الحجاجي قوانين بعينها وهي:

- قانون الخفض
- قانون تبديل السلم

– قانون القلب".

يأتي دور السلم الحجاجي في هذه الوصية؛ حيث يعد هذا السلم عبارة عن درجات يصعد بها وعليها الموصي واحدة تلو الأخرى حتى يصل لقمة السلم بالوصول للنتيجة الحاصلة من حجاجية الأقوال، وواقعية المعطيات، ومن ذلك ما ذكر عن تلك المقدمات الواقعية المنطقية التي تعد كذلك درجات في السلم الحجاجي الذي يبني عليه عمرو بن كلثوم براهينه وأدلته ومراده من الوصية:

بلغت من العمر ما لم يبلغ أحد (ح١)

لابد من أمر مقتبل (ح٢)

ينزل بي ما نزل بالآباء.... (ح٣)

↓

فاحفظوا عني ما أوصيكم به (ن)

إن بناء السلم الحجاجي هنا يعد بناءً منطقيًا، تحقق فيه شرطا السلم الحجاجي اللذان اشترط وجودهما (طه عبد الرحمن) كي يحقق السلم الحجاجي دوره الصحيح، ويبنى بطريقة حجاجية سليمة بقوله:

"أ– كل قول يقع في مرتبة من السلم يلزم عنه ما يقع تحته، بحيث تلزم عن القول الوجود في الطرف الآخر الأعلى جميع الأقوال التي دونه.

ب– كل قول كان في السلم دليلاً على مدلول معين، كان ما يعلوه مرتبة دليلاً أقوى عليه"[٥٢].

إن عمرو بن كلثوم في سلمه الحجاجي قد عمد إلى هذين الشرطين، فكل حجة مبنية على أختها السابقة لها، وبمنطقية واقعية تراتبية، وكلما أتى بحجة جاءت المترتبة عليها أقوى منها، بحيث يكون ذلك دافعًا للوصول لقمة السلم نتيجة عادلة صحيحة لمجموع الحجج السابقة

عليها، فنراه بدأ بترتيب منطقي لحججه، فإذا كان الهدف حفظ أبنائه لوصيته فإنه قدم لما يجعلهم يهتمون بالأمر، من خلال تجاربه الكثيرة وعمره الطويل ودنو أجله، ومن أجل هذه النتيجة التي أرادها(حفظهم للوصية) أتى بما يؤيد ضرورتها في هذا الوقت، وليس للاستماع فقط؛ وإنما كذلك للحفظ والعمل بها (احفظوا)، وكأنه يقول لهم: اجعلوها محفوظة لكم ولمن بعدكم.

وربما جاء السلم الحجاجي عن طريق القلب، فيبدأ بالنتيجة ثم يعدد معطياتها الحجاجية، وهو قلب للسلم الحجاجي، فكأنما بدأنا من الرأس للأسفل، عكس الثابت المعروف، من ذلك هذا السلم الحجاجي:

لا تُبَرَّحوا في حبكم (عدم الإفراط في المحبة) (ن)

↓

من برح في حبه آل ذلك إلى قبيح البغض (ح١)

وكم زارني إنسان وزرته (ح٢)

فانقلب الدهر بنا فبرته (ح٣)

هنا يبدأ عمرو بن كلثوم سلمه من خلال قلب السلم بالإتيان بالنتيجة التي تمثلت في الكناية عن عدم الإفراط في المحبة، ثم يأتي بعدها بالحجج التي تعضد هذا القول؛ لأن ذلك يؤدي للبغض والكراهية.

ثم يزيد الحجة قوة بتجاربه الخاصة، من خلال ما مرَّ به شخصيًا، فكم زار إنسانًا وزاره؛ محبة وقربًا، ثم استدار بينهما الأمر وانقلب الدهر حتى ابتعد عنه وانقطع ما بينهما. هنا نجده بدأ من النتيجة ثم الحجج، يبدأ من قمة السلم لينزل واحدة واحدة في درجاته.

ولعل في هذه الوصية من مسحة دينية خاصة تتسق وكثير من تعاليمنا الإسلامية من التخفيف من الزيارة، وعدم الإفراط في المحبة، ما يوضح لنا حقيقة ديانته المسيحية التي أثبتها له

الأب شيخو عندما جعله من بين شعراء النصرانية، فلابد أن لها تأثيرًا واضحًا في كثير من كلامه وحكمه في وصيته.

ثالثًا: الروابط الحجاجية:

إن للروابط الحجاجية دورًا مهمًا في بناء نظرية الحجاج؛ فهي لبنات في مفردات خاصة بالحجاج تعمل في مجموعها على ربط الكلمات والجمل والعبارات بروابط قوية، تعضد البراهين وتثبتها، وتقوي الحجج وتفرضها، والعلاقة" بين الروابط والحجاج معروفة تمام المعرفة...إن الرابط كلمة تعليق وتوجيه يصل بين معلومات نص وحجاجاته، ويضع خاصة ما في النص من معلومات في خدمة مقصده الحجاج الشامل"[٥٣].

إن توظيف الروابط في النص إنما يدفع به إلى قوة من التماسك النصي السياقي وتلعب دورًا أساسيًا في ذلك، وهي في عملها إنما" تربط بين قولين أو حجتين على الأصح (أو أكثر)، وتسند لكل قول دورًا محددًا داخل الإستراتيجية الحجاجية العامة ويمكن التمثيل للروابط بالأدوات الآتية: بل، لكن، حتى، لاسيما، إذن، لأن، بما أن، إذ..."[٥٤].

تأتي حروف العطف أيضًا من بين هذه الروابط القوية التي تستند عليها النظرية الحجاجية، حيث لها دور فاعل داخل الانسجام النصي والاتساق بين أجزاء النصوص المتنوعة، والتتابعية المطلوبة كثيرًا في الدلائل والبراهين الحجاجية الإقناعية، وهي غالبًا" تربط بين وحدتين دلاليتين (أو أكثر) في إطار إستراتيجية حجاجية واحدة... وقد تربط بين قولين، وقد تربط بين عناصر غير متجانسة"[٥٥].

ومن بين هذه الروابط المتعددة التي وردت في وصية عمرو بن كلثوم لأبنائه:

- الواو

تعد الواو من أشهر الروابط الحجاجية وأقواها، وأكثرها ورودًا في النصوص الأدبية عند الدراسة الحجاجية لها، وهي حرف عطف يفيد الجمع والاقتران والتتابعية والتواصل بين أجزاء الكلام والجمل بعضها بعضًا[٥٦]، ويعد من أكثر حروف العطف استخدامًا في هذا الباب.

ورد حرف الواو في وصية عمرو بن كلثوم لبنيه بصورة متكررة وكثيرة، تكاد توجد في أغلب جمل الوصية، تربط بين الجمل في تتابعية ووصل بين الأقوال والحجج المتنوعة، وبين تلك الدلائل التي ترتبط فيما بينها بمعنى دلالي خاص، أو حقل تداولي بعينه، أو تركيب نحوي بين مسند ومسند إليه، أو عطف من قبيل عطف الجمل على الجمل الذي يبثه الموصي حتى تتمكن حجته، وتكتمل دلائله حول مراده وقوله، ومن ذلك قوله:

"وإذا حُدِّثْتُم فَعُوا وإذا حَدَّثْتُم فَأَوْجِزُوا"[٥٧]

يلعب حرف الواو هنا دورًا مهمًّا في الربط بين الجملتين أو المقولتين، فهو بمثابة الحبل الواصل بين الكلام والسماع، بين من يسمع ليعي ما يقال، وبين من يتحدث فيجيز القول، وفي العطف دلالة التأكيد هنا، ودلالة الربط بين أمرين متجانسين لفظًا متباعدين معنى، على أن يكون مفاد أمرهما في النهاية النجاة من العبي، والسلامة من الإسهاب الذي يجلب الملل والفتور. وربما كانت الواو الأولى عطفًا على ما قبلها من وصايا جزئية متعددة أتى بها الموصي، متابعة لهذه الصور الجزئية المتداخلة والمتتابعة لبيان الحجة وإثبات القول.

"واعْلَمُوا أَنَّ أَشْجَعَ القومِ العَطُوفُ، وخيرَ الموتِ تحتَ ظِلال السيوفِ، ولا خيرَ فيمن لا رَوِيَّةَ له عند الغَضَبِ، ولا فيمن إذا عُوتِبَ لم يَعْتَبْ، ومِن النّاسِ مَن لا يُرْجَى خَيْرُه ولا يُخَافُ شَرَّهُ فَبَكْؤُهُ خُيرٌ مِن دَرِّهِ"[٥٨].

في هذه الفقرة من الوصية نجد عمرو بن كلثوم يتابع في تعدد منطقي تراتبي متسلسل، فإذا كان العطف من الشجاعة وهي مفارقة جيدة منه، فإنه يأتي بحرف الواو ليتابع القول ولا يفصله عن سابقه عندما يذكر الموت المعادل الموضوعي للشجاعة، التي لا يكون معها الموت إلا تحت السيوف، ثم يأتي بحجج أخرى متتابعة بالواو من خلال نفي الروية إذا غضب المرء وذهاب الحلم والعقل منه، ثم مثيلتها إذا عوتب فلم ينصاع للعتاب أو محاولة الصلح والنصح، ثم تعمل الواو كذلك على ربط ذلك كله بصنوف من الناس، فمنهم من لا يرجى منه الخير ويخاف من شره، فهو كالسقط سواء.

إن دور الواو هنا عمل على ربط الأجزاء بعضها ببعض، وترتيبها بعضها على بعض، حيث ينسجم الكلام، وتقى الحجة، ويمكن تمثيلها بالمقولات المتتابعة الآتية:

ق ١: واعْلَمُوا أَنَّ أَشْجَعَ القومِ العَطُوفُ

ق٢: وخيرَ الموتِ تحتَ ظِلال السيوفِ

ق٣: ولا خيرَ فيمن لا رَوِيَّةَ له عند الغَضَبِ

ق٤: ولا فيمن إذا عُوتِبَ لم يَعْتَبْ

ق٥: ومِن النّاسِ مَن لا يُرْجَى خَيْرُه ولا يُخَافُ شَرَّهُ

تأتي الواو بدور آخر في الربط والتتابع بين مقولتين من خلال التجربة الخاصة لعمرو بن كلثوم حينما يقول:

"وما بكيتُ مِن زَمَانٍ إلاَّ دَهَانِي بعدَه زَمَانٌ، وربما شَجَانِي مَن لم يكنْ أَمْرُهُ عَنَانِي"[٥٩].

فالواو هنا بمثابة المتكأ الذي يستند عليه الموصي ليؤكد ما قاله في المقولة الأولى، بتتابع واقعي عن تجربة في المقولة الثانية، فانسجام الحديث وارتباطه من خلال الواو جعل للحديث سبكًا جيدًا لا انفصال فيه.

- **حرف الفاء**:

تأتي الفاء للترتيب، وقد تأتي لمطلق الجمع كالواو، وتشارك ثم في إفادة الترتيب، وتفارقها في أنها تفيد الاتصال، بينما ثم تفيد الانفصال، وربما أتت للسببية في كثير من حالاتها[٦٠]، وقد أتت الفاء كثيرًا في وصية عمرو بن كلثوم، وكانت لها مكانة واضحة في ارتباط الكلام بعضه بعضًا، وكذلك في الربط بين السبب والنتيجة، أو بين معطيات ومقدمات النتائج وبين النتيجة ذاتها المترتبة على هذه المعطيات والمقدمات الحجاجية، ومن ذلك قوله:

"وأَبْعِدُوا بُيوتَ النِّساءِ مِن بُيوتِ الرِّجالِ؛ فإنَّه أَغَضُّ للبصرِ وأَعَفُّ للذِّكَرِ"[٦١]

نرى الفاء في أغلبها إنما جاءت لبيان الحجة والسبب وإثبات الدليل للوصول إلى النتيجة، فتعمل على عطفها على معطيات سابقة عليها، نرى ذلك في تلك الحمية الجاهلية من التي كانت معروفة برغم ما عندهم من فواحش قديمة خاصة موضوع الزنا، إلا أن الأحرار منهم،

والحرة من بين النساء، وصاحبة الأصل العريق ما كانت لترتكب مثل ذلك، هنا يوصي أن تبعد بيوت النساء– وربما قصد خيامهم أو أماكن إقامة بعضهن ممن لا زوج لها– عن بيوت الرجال، فقدم بمقدمة أولية حجاجية، لتأتي نتيجة تلك الحجة لبيان سبب ذلك مسبوقة بالفاء (فإنه أغض للبصر وأعف للذكر) فيما بينهم.

نرى توظيف الفاء قريبًا من ذلك في قوله:

"وَمَن سَبَّ سُبَّ، فَكُفُّوا عن الشَّتمِ؛ فإنَّه أَسْلَمُ لأَعْرَاضِكم"[٦٢]

تأتي الفاء التقريرية أولاً (فكفوا) لتلحقها فاء السببية بعدها، التي تبين لماذا الكف عن السب وعن الشتم، وهذه مسحة دينية أخرى ظاهرة عند عمرو بن كلثوم، من خلال عدم السب والشتم الذي نراه في كل الأديان محمودًا مرغوبًا فيه.

نجد بعد ذلك استخدامات أخرى للفاء من خلال التقرير والتأكيد وربط الكلام ووصله وانسجام بعضه بعضًا، مثل قوله:

"وَزَوِّجُوا بناتِ العِمِّ بَنِي العَمَّ، فإنْ تَعَدَّيْتَّم بِهنَّ إلى الغُرَباءِ فلا تَأْلُوا بِهنَّ الأَكْفَاءَ"[٦٣]

فقد أوصى بنيه بالزواج من بنات أعمامهم، وربما كانت تلك عادة جاهلية لمبادئهم الخاصة، ومعتقداتهم القديمة، ونعراتهم العصبية المعروفة، وجاءت الفاء لتأكد سبب ذلك وحجته في هذا الأمر.

- الحرف لكن

تأتي لكن لاستدراك الكلام على أمر ما، وتأتي كذلك للتوكيد[٦٤]، وربما يحاول الموصي أن ينفي ما قبل، ليثبت ما بعد، أو يحاول أن ينتقل بالحديث للتأكيد على أمر أراده عكس ما يتوقع المتلقي لكلامه، وربما تأتي لكن كي تقوم بدور الربط بين حجتين، وجعل أبو بكر العزاوي لها مهمتين: الحجاج والإبطال[٦٥]، ووردت لكن في وصية عمرو بن كلثوم على هذا النحو من الاستخدام، من ذلك قوله:

"إنِّي لم أَمُتْ ولكن هَرِمْتُ"[٦٦]

في هذه العبارة نجد عمرو بن كلثوم يؤكد لأبنائه سبب استحضاره لوصيته هنا، فليس السبب فيها موته، وإلا فلا وصية كانت تقال، ولكن السبب في ذلك كبر سنه وهرمه، مما هيأ له من التجارب والخبرات الحياتية الكثيرة، فلا ضير أن يوصي لهم بوصية خشية إتيان أجله، وتغيبه عنهم، وخوفه عليهم.

لقد لعبت (لكن) هنا دورًا مهمًّا في استدراك كلامه، في نفي الموت وإثبات الهرم والشيخوخة له، في تدارك ظن ربما يظنه متلقي الوصية أو من بعده، إلا إثبات حجة قوية واضحة لا مراء فيها.

رابعاً: العوامل الحجاجية:

تعد العوامل الحجاجية– مع الروابط الحجاجية– آلية من آليات الحجاج المهمة التي تعمل على الوصول إلى الهدف منه وهو التماسك القوي للنص من خلال قوة الحجة والبرهان، ودفع الشك وإثبات اليقين، ويحاول المبدع توظيفها سبك النظم وربط خيوط الإبداع داخل نصه، وهي" لا تربط بين متغيرات حجاجية (أي بين حجة ونتيجة، أو بين مجموعة حجج؛ ولكنها تقوم بحصر وتقييد الإمكانيات الحجاجية التي تكون لقول ما، وتضم مقولة العوامل أدوات من قبيل (ربما، تقريبًا، كاد، قليلاً، كثيرًا، ما... إلا، وكل أدوات القصر"[٦٧].

- أسلوب القصر

من أكثر العوامل الحجاجية التي وردت في وصية عمرو بن كلثوم، واعتمدت عليها الوصية في بعض أجزائها (أسلوب القصر)، وقد عمد إليه الموصي لإثبات إمكانات حجاجية بعينها، ورفعها عمَّا يتوهمه القارئ أو المتلقي. ومن ذلك قوله[٦٨]:

"إِنِّي واللهِ ما عَيَّرْتُ رَجَلاً قَطُّ أَمْرًا إِلاَّ عَيَّرَ بِي مِثْلَهُ"

في هذه الوصية الجزئية من وصايا ابن كلثوم، يحاول أن يؤكد بحجته على امر بعينه، ويوصي أبناءه به، ألا وهو أن من عير أحدًا لابد وأن يأتي من يعيره بمثل ما عير به غيره، ويضرب بنفسه مثالاً حيًّا على ذلك، وهو دفع لمظنة التكذيب، وإثبات تأكيد الحدوث، وإتيان ما يقوي حجته من خلال التجارب، ثم بأسلوب القصر بـ (ما/ إلا) وهما أقوى أدوات القصر والاستثناء

المعروفة، ويشفعهما بسبق بالتوكيد بـ (إني) والقسم (والله)، ومن هنا باتت الحجة قوية، والدليل قاطع، ويأتي الاستثناء مع ذلك كله لتقوية الألة والحجج، والربط بينها وبين النتيجة الحاصلة عليها للإثبات. ويمكن أن نمثل لهذا الحجاج بالآتي:

ما عيرت رجلا قط أمرًا (ح)

إلا عير بي مثله (ن)

من ذلك أيضًا قوله:

"وما بكيتُ مِن زَمَانٍ إلاَّ دَهَانِي بعدَه زَمَانٌ "[٦٩]

هنا يبرز دور القصر بالاستثناء من خلال أدواته في بيان حكمة عجيبة، ووصية موجعة مجربة، فهو ما طال حزنه من فعل زمن واستمر فيه، وفتر فيه، إلا دهاه أكثر من زمان آخر، وأتاه فوق ما يرى، فهي من الأعاجيب المجربة، والأمور الحياتية المعروفة، من أصر على الحزن ابتلي به، ومن عاش فيه صار ديدنه ومصيره، فهو يحصر الأمر هنا بأسلوب القصر حول ما رأى وعاين، ومازال يعطينا من خبراته وتجاربه ما يؤكد به كلامه، فالتقرير الأولي يتبعه بتأكيد له من ردة الفعل، ومصير المكلوم الفاتر البائس، فبكاه من أحداث زمان يحيا فيه الآن لم يكن لينتهي إلا وزاد عليه بزمان آخر ووجع وبكاء جديدين. ويمكن أن نمثل لهذا الحجاج بالآتي:

وما بكيتُ مِن زَمَانٍ (ح)

إلاَّ دَهَانِي بعدَه زَمَانٌ (ن)

ومن استخدامه لأسلوب القصر كذلك قوله:

"ما عَجِبْتُ مِن أُحْدُوثَةٍ إلاَّ رأيتَ بعدَها أُعْجُوبَةً"[٧٠]

يعد الحجاج في هذه المقولة حجاجًا لغويًا خاصًا، من خلال العامل الحجاجي (القصر) ثم من خلال اللغة ذاتها التي استخدمها عمرو بن كلثوم، وألفاظه ذات الدلالات الموحية، فقد بدأ بالقصر بـ (ما) ليتبعها بقصر بـ (إلا) لإثبات أنه ما تعجب من أحداث، إلا ورأي بعينه أعجب منها، ونرى الجناس اللفظي له دور عظيم في تقوية القصر والاستثناء واستحضاره في باب الحجاج هنا، فإن كان قد تعجب فقط في جزء الكلام الأول المتمثل في الحجة، فقد رأى بعينه في الجزء الثاني المتمثل في النتيجة، والرؤية أكثر يقينًا من التعجب الذي قد لا يكون فيه رؤية أصلا، فلربما اعتمد على السماع فقط، ثم تأتي الأحدوثة والأعجوبة وما بينهما من جناس لتضفي على الوصية بيانًا لغويًا خاصًا، تأتي الحجة معطيات رئيسة، تعقبها النتيجة التي تؤيد ما يريد:

ما عَجِبْتُ مِن أُحْدُوثَةٍ

↓

إلاَّ رأيتَ بعدَها أُعْجُوبَةً

- أسلوب النفي:

يعد أسلوب النفي من الأساليب الحجاجية المهمة التي وقف عليها عمرو بن كلثوم في وصيته، واستخدمها دليلاً لإثبات حجته وتدعيم موقفه، وهو من الأساليب الدافعة للظن ورفض التوهم والاحتمال، ينفي معها القائل القول المراد استبعاده وتركه أو التحذير منه من خلال توظيف خاص بأدوات محددة، لعل أهمها (لا) التي وردت كثيرًا في سياق وصية عمرو بن كلثوم، وفي ثنايا ما يبثه لأبنائه من خبرات وتجارب متعددة ومتنوعة.

من ذلك قوله:

"لا خيرَ فيمن لا يَغَارُ لِغَيْرِه كَمَا يَغَارُ لِنَفْسِه"[٧١]

يأتي أسلوب النفي كحجة قوية من خلال تأسيس الكلام عليه، فمن لا يغار لغيره ويقف بجواره وقوفه لنفسه ضد أي ضيم، لا خير فيه، إنها النتيجة الحادثة من خلال نفي فعله، وهذا النفي يحمل حكمًا قاطعًا وأثرًا أخلاقيًا بالغًا، إذ يُبرز الأنانية بوصفها نقيضًا للمروءة، وكأن في قلب الكلام والتقديم والتأخير هنا تفاعلاً خاصًا مع أداة النفي (لا)، فالأصل:

من لا يغار لغيره كما يغار لنفسه (ح)

لا خير فيه (ن)

جاء الترتيب النحوي مبنيًا على تقديم النتيجة: "لا خير فيه"، والعودة لتأسيسها لاحقًا على مقدمة توضح السبب والحكم:" من لا يغار لغيره كما يغار لنفسه".

هنا تتجلى براعة عمرو بن كلثوم في استخدام النفي بوصفه أداة تقويمية، تتفاعل مع السياق وتُبرز عمق المعنى، خاصة حين يتلاقى مع أدوات التقديم والتأخير التي تُضفي على الجملة قوة إيقاعية ودلالية.

ومثل ذلك مع استحضار أكثر من حجة للنتيجة الواحدة، مع التقديم للنتيجة عن مسبباتها وحججها في قول عمرو بن كلثوم:

"لا خيرَ فيمن لا رَوِيَّةَ له عند الغَضَبِ، ولا فيمن إذا عُوتِبَ لم يَعْتَبْ"[٧٢]

من لا رَوِيَّةَ له عند الغَضَبِ (ح١)

لا خيرَ فيه (ن)

من إذا عُوتِبَ لم يَعْتَبْ (ح٢)

تأتي الجملة بسيطة في شكلها، لكنها قوية في معناها؛ فهي تحكم على الناس من خلال سلوكهم تجاه الآخرين، وتربط الخير الحقيقي بالغيرة على الغير، لا على النفس فقط.

من خلال هذا النفي نجد أن البيت يحمل في طياته خطابًا حجاجيًا تربويًا خاصًا، فلحظة الغضب ولحظة العتاب يبرزان سلوك بعض الناس، سلوك مرفوض؛ لأنه لا خير فيه ولا خير فيمن يحمله من الناس، إنه التقويم الحجاجي الخاص، بقوة الحجة والدليل، ورفض ما يتنافى مع القيم الثقافية والتقاليد المجتمعية التي يعرفها عمرو بن كلثوم ويوصي أبناءه بها.

الخاتمة

تناول العرض السابق آليات الحجاج في النثر الجاهلي، من خلال خطبة عمرو بن كلثوم لبنيه، وقد توصل الباحث لعدد من النتائج وهي:

١- أثبت البحث وجودًا فاعلاً لنظرية الحجاج في النثر الجاهلي بأنماطه المتنوعة، لاسيما في مجال الوصايا؛ وذلك لأن الموصي يحتاج في وصيته لآليات إقناع متنوعة وبراهين دامغة وحجج قوية كي تصل وصيته لمن أرادهم به دون لبس أو شك أو رفض لها.

٢- أكد البحث أن وصايا الآباء لأبنائهم من أهم الوصايا التي حفظها لنا التراث الأدبي في النثر الجاهلي، وكثر من أوصوا لأبنائهم، وكان من أهم هؤلاء عمرو بن كلثوم.

٣- تعد وصية عمرو بن كلثوم مفارقة خاصة؛ حيث إن عمرو بن كلثوم اشتهر شاعرًا أكثر منه ناثرًا، فلما وجدت هذه الوصية وما فيها من بلاغة قول وتجارب حياتية وخبرات مفيدة، كانت من النصوص المهمة التي تدفع أي باحث لدراستها والوقوف عليها.

٤- أثبت البحث أن بعض الدوافع الذاتية والحياتية والثقافية والدينية كانت بمثابة المعول القوي لقول عمرو بن كلثوم لوصيته.

٥- أشار البحث إلى ظهور المسحة الدينية في هذه الوصية بقوة، من خلال ما بثه فيها عمرو بن كلثوم بالتزام أخلاقي خاص، ونستطيع أن نفسر ذلك بديانته المسيحية التي أقرها الأب لويس شيخو اليسوعي عندما وضعه بين شعراء النصرانية.

٦- بدا الحجاج واضحًا في وصية عمرو بن كلثوم من خلال آلياته المتنوعة، مما جعل قوله قولاً قاطعاً لا مجال للشك فيه أو إنكاره.

٧- تشكلت آليات الحجاج في هذه الوصية في الحجج المتعلقة بالوقائع الحياتية والمنطقية والمؤسسة على أساس التجارب الاجتماعية والخبرات الحياتية التي تنتج عنها تلك الحجج التي تثبت قوله بالبرهان والدليل.

٨- أكد البحث أن السلم الحجاجي كان له دور مهم في وصية عمرو بن كلثوم، حيث التسلسل المنطقي للحجج، الدافعة للجدال أو الشك.

٩- أشار البحث إلى أهمية الروابط الحجاجية المتمثلة في بعض الحروف (الواو، الفاء، لكن)، وأنها من أهم الآليات الحجاجية التي اعتمدت عليها الوصية.

١٠- وجدت العوامل الحجاجية أيضًا بصورة واضحة من خلال أسلوب القصر الذي استخدمه عمرو بن كلثوم ثلاث مرات في وصيته.

١١- كان لأسلوب النفي دور مهم في الآليات الحجاجية في الوصية وعمد له عمرو بن كلثوم كثيرًا في وصيته.

الهوامش

[١] نظرية الحجاج، قراءة في نظريات معاصرة، جميل حمداوي، مجلة المنهاج، العدد السبعون، صيف ٢٠١٣م، ص٨٤.

[٢] لسان العرب، ابن منظور، دار صادر بيروت، ١٩٩٩٢م، مادة (حجج).

[٣] الحجاج، كريستيان بلانتان، ترجمة عبد القادر المهيري، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، ٢٠١٠م، ص٧.

[٤] المرجع السابق، نفسه.

[٥] من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، د/ جميل حمداوي، منشورات إفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠١٤م، ص١٢.

[٦] راجع: أهم نظريات الحِجَاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، حمودي صامود وآخرون، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، كلية الآداب منوبة، تونس، ١٩٩٨م، ص٢٤٨.

[٧] انظر: نظرية الحجاج، قراءة في نظريات معاصرة، جميل حمداوي، ص٨٢ وما بعدها.

[٨] الحجاج في الشعر العربي، بنيته وأساليبه، سامية الدريدي، عالم الكتاب الحديث، الأردن ٢٠١١م.، ص ١٨.

[٩] في نظرية الحجاج، دراسات وتطبيقات، عبد الله صولة، مسكلياني للنشر، تونس، الطبعة الأولى، ٢٠١١م، ص١٢. وانظر: من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، د/ جميل حمداوي، ص٢٧.

[١٠] استراتيجيات الحجاج في التراث العربي، ليلى جغام، ص ٢١.

[١١] نظرية الحجاج، قراءة في نظريات معاصرة، جميل حمداوي، ص٩٠.

[١٢] اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م، ص٨.

[١٣] نظرية الحجاج، قراءة في نظريات معاصرة، جميل حمداوي، ص٩٠.

[١٤] الحجاج، كريستيان بلانتان، ص ١٢٤.

[١٥] الحجاج في الشعر العربي، سامية الدريدي، بنيته وأساليبه، ص٢٣.

[١٦] انظر: اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي، ص١٤، وانظر: من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، ص٣٥-٣٧. وانظر: نظرية الحجاج، قراءة في نظريات معاصرة، جميل حمداوي، ص٩٠ وما بعدها.

[١٧] مقاييس اللغة، ابن فارس، ت: عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة، القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ج٦/ ١١٦، مادة (وصي).

[١٨] الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، ت: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ج٦/ ٢٥٢٥

[١٩] لسان العرب، ابن منظور، ج ١٥/ ٣٩٤، مادة (وصي)

[٢٠] الوصايا في الأدب الأندلسي، حذيفة عبد الله عزام، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٧م، ص٨.

[٢١] المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ت: مُحَمَّد سيد الكيلاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ص٥٢٥.

[٢٢] انظر في ذلك: لباب الآداب، الأمير أسامة بن منقذ، ت: أحمد مُحَمَّد شاكر، مكتبة السنة بالقهرة، ١٩٨٧م، ص٣.

[٢٣] أدب الوصايا في العصر العباسي إلى نهاية القرن الرابع، أحمد أمين مصطفى ، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٠م، ص٥

[٢٤] الحياة الأدبية في العصر الجاهلي، د/ مُحَمَّد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ص١٥٢.

[٢٥] من بلاغة الوصايا في النثر، عادل إبراهيم يوسف، بحث منشور بمجلة الدراسات الإنسانية، جامعة بني غازي، عدد٩، ديسمبر ٢٠١٥م، ص٣.

[٢٦] الحياة الأدبية في العصر الجاهلي، ص١٥٢.

[٢٧] النثر في العصر الجاهلي، د/ هاشم صالح مناع، دار الفكر العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٣م، ص١٠٧.

[٢٨] تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام، نوري حمود القيسي ، عادل جاسم البياتي، مصطفى عبد اللطيف، منشورات وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، كلية الآداب، الطبعة الثانية، ودار الكتاب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ٢٠٠٠م ، ص٤٣٩، ٤٤٠.

[٢٩] من بلاغة الوصايا في النثر، عادل إبراهيم يوسف، ص٤.

[٣٠] لباب الآداب، الأمير أسامة بن منقذ، ص١.

[٣١] وصايا الآباء في الشعر الجاهلي والإسلامي، فتحي إبراهيم أحمد خضر، بحث منشور بمجلة جامعة النجاح للأبحاث والعلوم الإنسانية، مجلد ١٩، عدد ٤، ٢٠٠٥م، ص١١٨٩.

[٣٢] الحياة الأدبية في العصر الجاهلي، ص١٥٢.

[٣٣] وصايا الآباء في الشعر الجاهلي والإسلامي، فتحي إبراهيم أحمد خضر، ص١١٧٥.

[٣٤] الخصائص الفنية للوصايا والحكم والأمثال عند حكام العرب قبل الإسلام، آلاء مُحَمَّد عزب، بحث منشور بمجلة كلية الآداب جامعة أسوان، عدد أبريل ٢٠٢٢م، ص٤٠.

[٣٥] يراجع في ترجمته: كتاب الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، دار الكتب المصرية، الطبعة الأولى، ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م، ج١١/ ٥٢. شرح المعلقات السبع، الزوزني، تقديم: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ٢٠٠٤م، ص١٦٩. جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، أبو زيد القرشي، ت: علي البجاوي، نهضة مصر، ١٩٨١م، ص٢٧٢. طبقات فحول الشعراء، ابن سلام الجمحي، ت: محمود مُحَمَّد شاكر، دار المدني بجدة، ١٩٨٠م، ج١/ ٦٤. معجم الشعراء، المرزباني، ت: د/ فاروق إسليم، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م، ج٢/ ٢٣.الشعر والشعراء، ابن قتيبة، ت: أحمد مُحَمَّد شاكر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٨م، ج١/ ٢٣٤. شعراء النصرانية، الأب لويس شيخو اليسوعي، مطبعة الآباء المرسلين اليسوعيين، بيروت، ١٨٩٠م، ج١/ ٢٠٢.الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثالثة عشرة ١٩٩٨م، ج٥/ ٨٤. معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، ١٩٥٧م، ج٢/ ٥٨٥. معجم الشعراء

من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي، د/عفيفي عبد الرحمن، دار المناهل، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ص١٩٢. معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين، د/ حاكم حبيب الكريطي، مكتبة لبنان ناشرون، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، ص١٧٣.

وراجع في ترجمته: ديوان عمرو بن كلثوم، تحقيق: د/ اميل بدع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م. وديوان عمرو بن كلثوم التغلبي، تحقيق: د/ أيمن ميدان، منشورات النادي الأدبي الثقافي بجدة، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

[٣٦] كتاب الأغاني، ج١١/ ٥٣.

[٣٧] ديوان عمرو بن كلثوم، تحقيق: د/ إميل بدع يعقوب، ص ١٠

[٣٨] انظر تفصيل ذلك في: ديوان عمرو بن كلثوم التغلبي، تحقيق: د/ أيمن ميدان، ص ١٨٤ وما بعدها. وديوان عمرو بن كلثوم، تحقيق: د/ اميل بدع يعقوب، ص ١٤ وما بعدها.

[٣٩] معجم الشعراء، المرزباني، ج٢/ ٢٣

[٤٠] راجع في ذلك: كتاب الأغاني، ج١١/ ٥٢. طبقات فحول الشعراء، ج١/ ٦٤. معجم الشعراء، ، ج٢/ ٢٣.الشعر والشعراء، ج١/ ٢٣٤. شعراء النصرانية، ، ج١/ ٢٠٢.الأعلام، ج٥/ ٨٤.

[٤١] ذكره الأب لويس شيخو اليسوعي من ضمن شعراء النصرانية في كتابه «شعراء النصرانية»: شعراء النصرانية، الأب لويس شيخو اليسوعي، ج١/ ١٩٧ وما بعدها.

[٤٢] وصية عمرو بن كلثوم لأولاده، دراسة تحليلية في ضوء علم اللغة النفسي، د/ مُحَمَّد حسين محمود، بحث منشور بمجلة قطاف، العدد السادس عشر، ديسمبر٢٠٢٢م، ص٧٩٣– ٨٤١.

[٤٣] انظر: النثر في العصر الجاهلي، د/ هاشم صالح مناع، دار الفكر العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٣م، ص١١٧– ١٢٣.

[٤٤] في نظرية الحجاج – دراسات وتطبيقات، عبد الله صولة، ص٣٠.

[٤٥] اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، د/ طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار لبيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م، ص٢٧٤، ٢٧٥.

[٤٦] جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، أحمد زكي صفوت، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٢م، الجزء الأول، ص٤٨، ٤٩.

* (ق ح) تعني مقدمة حجاجية (ن م) تعني نتيجة منطقية.

[٤٧] انظر: كتاب الأغاني، ج١١/ ص٥٣

[٤٨] جمهرة خطب العرب، ١/ ٤٨

[٤٩] المصدر السابق، ١/ ٤٨، ٤٩

[٥٠] اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي، ص٢٠، ٢١.

[٥١] انظر: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، د/ طه عبد الرحمن، ص٢٧٧.

[٥٢] اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، د/ طه عبد الرحمن، ص٢٧٧.

[٥٣] الحجاج، كريستيان بلانتان، ص ١٢٠.

[٥٤] اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي، ص٢٧.

[٥٥] المرجع السابق، ص٢٩

[٥٦] انظر: معاني الحروف، الرماني، علي بن عيسى، تحقيق الشيخ عرفان بن سليم العشا، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٥هـ، ص٣٦- ٤٠، وانظر: الجنى الداني في حروف المعاني، الحسن بن قاسم المرادي، تحقيق/ فخر الدين قباوة، أ/ محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م/ ١٤١٣هـ، ص ١٥٣- ١٧٤.

[٥٧] جمهرة خطب العرب، ١/ ٤٨.

[٥٨] المصدر السابق، ١/ ٤٨، ٤٩

[٥٩] جمهرة خطب العرب، ١/ ٤٨.

[٦٠] انظر: معاني الحروف، ص١٧- ١٩، وانظر: الجنى الداني في حروف المعاني، ص ٦١- ٨٤.

[٦١] جمهرة خطب العرب، ١/ ٤٨.

[٦٢] المصدر السابق، ١/ ٤٨.

[٦٣] جمهرة خطب العرب، ١/ ٤٨.

[٦٤] انظر: معاني الحروف، ص١٩٠- ٢٠٠، وانظر: الجنى الداني في حروف المعاني،ص٥٨٦.

[٦٥] اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي، ص٥٧.

[٦٦] جمهرة خطب العرب، ١/ ٤٩.

[٦٧] اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي، ص٢٧.

[٦٨] جمهرة خطب العرب، ج١/ ٤٨، ٤٩

[٦٩] جمهرة خطب العرب، ١/ ٤٨.

[٧٠] جمهرة خطب العرب، ١/ ٤٨.

[٧١] جمهرة خطب العرب، ١/ ٤٨.

[٧٢] المصدر السابق، ١/ ٤٨.

المصادر والمراجع

١. إستراتيجيات الحجاج في التراث العربي، ليلى جغام، دار النابغة للنشر، ٢٠١٤م.

٢. أدب الوصايا في الأدب العربي، د/ عيسى علي العاكوب، بحث منشور بمجلة الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون، مج٢، ع٣.

٣. أدب الوصايا في العصر العباسي إلى نهاية القرن الرابع، أحمد أمين مصطفى ، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٠م.

٤. الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثالثة عشرة ١٩٩٨م.

٥. أهم نظريات الحِجَاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، حمودي صامود وآخرون، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، كلية الآداب منوبة، تونس، ١٩٩٨م.

٦. تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام، نوري حمود القيسي ، عادل جاسم البياني، مصطفى عبد اللطيف، منشورات وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، كلية الآداب، الطبعة الثانية، دار الكتاب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ٢٠٠٠م .

٧. جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، أبو زيد القرشي، ت: علي البجاوي، نهضة مصر، ١٩٨١م.

٨. جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، أحمد زكي صفوت، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر، الطبعة الأولى ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٢م.

٩. الجنى الداني في حروف المعاني، الحسن بن قاسم المرادي، تحقيق/ فخر الدين قباوة، أ/ مُحَمَّد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م/ ١٤١٣هـ.

١٠. الحجاج، كريستيان بلانتان، ترجمة عبد القادر المهيري، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، ٢٠١٠م.

١١. الحجاج في الشعر العربي، سامية الدريدي، بنيته وأساليبه، عالم الكتاب الحديث، الأردن ٢٠١١م.
١٢. الحياة الأدبية في العصر الجاهلي، د/ مُحَمَّد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
١٣. الخصائص الفنية للوصايا والحكم والأمثال عند حكام العرب قبل الإسلام، آلاء مُحَمَّد عزب، بحث منشور بمجلة كلية الآداب جامعة أسوان، عدد أبريل ٢٠٢٢م.
١٤. ديوان عمرو بن كلثوم التغلبي، تحقيق: د/ أيمن ميدان، منشورات النادي الأدبي الثقافي بجدة، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.
١٥. ديوان عمرو بن كلثوم، تحقيق: د/ إميل بدع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.
١٦. شرح المعلقات السبع، الزوزني، تقديم: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ٢٠٠٤م.
١٧. الشعر والشعراء، ابن قتيبة، ت: أحمد مُحَمَّد شاكر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٨م.
١٨. شعراء النصرانية، الأب لويس شيخو اليسوعي، مطبعة الآباء المرسلين اليسوعيين، بيروت، ١٨٩٠م،.
١٩. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، ت: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
٢٠. طبقات فحول الشعراء، ابن سلام الجمحي، ت: محمود مُحَمَّد شاكر، دار المدني بجدة، ١٩٨٠م، ج١/ ٦٤.
٢١. في نظرية الحجاج – دراسات وتطبيقات، عبد الله صولة، مسكيلياني للنشر والتوزيع، ط١، تونس، ٢٠١١.

٢٢. كتاب الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، دار الكتب المصرية، الطبعة الأولى، ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م، ج١١.

٢٣. لباب الآداب، الأمير أسامة بن منقذ، ت: أحمد مُحَمَّد شاكر، مكتبة السنة بالقهرة، ١٩٨٧م.

٢٤. لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م.

٢٥. اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى ١٩٩٨م .

٢٦. اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م.

٢٧. معاني الحروف، الرماني، علي بن عيسى، تحقيق الشيخ عرفان بن سليم العشا، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٥هـ.

٢٨. معجم الشعراء، المرزباني، ت: د/ فاروق إسليم، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م.

٢٩. معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين، د/ حاكم حبيب الكريطي، مكتبة لبنان ناشرون، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

٣٠. معجم الشعراء من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي، د/عفيفي عبد الرحمن، دار المناهل، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

٣١. معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٥٧م.

٣٢. المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ت: مُحَمَّد سيد الكيلاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٣٣. مقاييس اللغة، ابن فارس، ت: عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة، القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ج.٦

٣٤. من بلاغة الوصايا في النثر، عادل إبراهيم يوسف، بحث منشور بمجلة الدراسات الإنسانية، جامعة بني غازي، عدد٩، ديسمبر ٢٠١٥م.

٣٥. من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، د/ جميل حمداوي، منشورات إفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠١٤م

٣٦. النثر في العصر الجاهلي، د/ هاشم صالح مناع، دار الفكر العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٣م.

٣٧. نظرية الحجاج، قراءة في نظريات معاصرة، جميل حمداوي، مجلة المنهاج، العدد السبعون، صيف ٢٠١٣م.

٣٨. وصايا الآباء في الشعر الجاهلي والإسلامي، فتحي إبراهيم أحمد خضر، بحث منشور بمجلة جامعة النجاح للأبحاث والعلوم الإنسانية، مجلد ١٩، عدد ٤، ٢٠٠٥م.

٣٩. الوصايا في الأدب الاندلسي، رسالة ماجستير، حذيفة عبد الله عزام، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٧م.

٤٠. وصية عمرو بن كلثوم لأولاده، دراسة تحليلية في ضوء علم اللغة النفسي، د/ مُحَمَّد حسين محمود، بحث منشور بمجلة قطاف، العدد السادس عشر، ديسمبر٢٠٢٢م.